من قلبي اليك

ايه ريحان

من قلبي اليك

ايه ريحان

تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا

تصميم الغلاف : عبير محمد

رقم ايداع: 1989/2019

ترقيم دولي: 978-977-6594-63-0



دار فصلة للنشر والتوزيع

العزيزيه - منيا القمح - مصر

٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

fasla.pub@gmail.com

FB .Com/Fasla .Pub

الطبعه الأولي اكتوبر ٢٠١٩



من قلبي اليك

ايه ريحان



إهداء

إلى ذلك الرجُل الذي أحببته بكُل قواي العقلية والجسدية وحتى بكامل إحساسي لم أنْقص مِنهُ شيئًا.

أعطيت حُبي له كل طاقتي، وما كان مِنهُ إلا أن قابل هذا الحب بخُذلان مسموم.

عزيزي، أحببتك بطريقة مُنفردة من نوعِها،

فسلامٌ ووردةٌ لقلبك القاسي،

حتى يلين.

أحَدثَكُم قليلًا عما كان في هذا الرجُل من أشياء تُشبه الورود مكنونة وما لها أن تخرج، أيقَنْتُ أن كل محاولاتي في إفهامُه أنه كل شواطئ الأمان بالنسبة لي باءت بالفشل الذريع.

كان قلبه سلاح ذا حدين، حد يتمسك، والآخر يمتلك قدرة الاستغناء.

داخله كوردة لينة ممزوجة بصبارٍ قاسٍ، كل منهما يسابق الآخر، أنا تذوقت تلك الوردة وشربت من ذلك الصبار.

علَمَنِي كيفية الوصول إلى قلبه؛ فأحببته بغير قدر وبدون حساب، ولم يصلني هو لقلبه.
لا أعلم من الأحمق أنا أم هو؟
ولكنه هو الأحمق، مع أنه كان يعلم مقدار حُبي له وبالطريقة المقدسة إلا أنه لم يُقدسهُ أو يعترف به يومًا، فكان يَتَلون مرةٍ بلين ومرات ومرات بِجَفاء.

أنا أعترف أني سأظل أحبه وبشدة حتى الممات، وأدعو الله أن يكون معي في الآخرة.
أنا لا أظنه للحظة شك أن أفلتُ قلبي من حُبِهِ قط، أنا أقترب من كراهية نفسي، لأني لا أستطيع كُرهَهُ.

صنعت من ذلك الرجل أسطورةٌ، لم تُخلق في أحد ولا لأحد مثله، لكنه لم يُقدِر ذلك ولو بالقليل.
أخاف من كل دقيقه تخلو منه، لم أعلم كيف أصفه! إذا وصفته بكابوس انقض عليّ ولم ولن أقدر على مفارقته فسيكون إساءةٍ لحبي، ولكن إذا وصفته فسأقول مرض مزمن انتشر في قلبي وعقلي وجسدي، ولم يتوصل أحد إلى حجبه أو منعه عني يومًا.

أنا أحبه وكأن لم يُخلق غيره على الأرض، وما زادني حبي له، إلا أنني أصبحت أشبهه؛ أتكلم بطريقته، أفكر فيه في كل ما يمر أمامي، وصل بي أنه أصبح نظري ومركز تنفسي وكل علاقاتي الداخلية الخاصة بي.

رأيت منه ما يجعله يستوطن داخلي بكل قواه، فما كان منه إلا أن رمى ذلك في داخلي وسقاه، ثم أفلت يده فجأة!
فجعلني أذبُل وأنا على الغُصن الذي زرعه.

أحببته بقوة رجل وأحبني بضعف امرأة، كل الأشياء من حولي تحمل جزء منه، شيء منه، كلمة منه، حتى جدران غرفتي تحمل تواريخ كل مرة التقيته، وتواريخ كل مرة حنا قلبه على قلبي.

ومُذكراتي الخاصة تحمل كل كلمة منه بَعَثت داخلي الحياة، وأخرى تحمل كل غصة عَلِقت بقلبي وهدمت به جزء، حتى اسمهُ يُذكر في كل عبارة في موضعِه الخاص.

الأقربون لي يعرفون أنه كل حالي، أنه كل الأشياء التي علقت بي وأصابتني ولم أستطع التعافي منها.

وحده انفرد بكل قلبي وعَلِقَ به، ورغم أنه عرف أن قلبي معلق بقلبه إلا أنه تركه ولم يُبالِ.
مَلك قلبي حد السماء، أهديته إياهُ كاملًا، فوضع تلك الهدية رفًا حتى أنهكها الهجران، وأذابت أنسجتها كثرة الإهمال، وتبوأت مقعدها من الجحيم.
حتى هلكت وذبلت وانكمشت وانتهت، بالله انتهت، فقدت كل قواها وأنهكها الانتظار.

ولكنه رغم ذلك عزيز، ذلك القلب المُنهَك الذي طالما طلب منه الرفق ولم يلقه إلا لحظات.
دومًا كنت أسمع من أمي أنني قليلة الصبر، لا أحب الانتظار، سريعة الغضب، بل أحست أنني من مَعدومِي الصبر، بعدما سمعت عنك وعَلِمَت بكل مرة تَرَكت وراءك غياب طويل، وبكل مرة انتظرتك، وبكل مرة أفلت يدك من يدي وأنا تحملتها ومسكت بحبالنا البالية حتى قُطِّعت يدي.

أسمعها في صلاة الفجر كل ليلة تتوسل إلى الله أن يمنحني القوة.

لو علمت كم غصات قلبي، وكيف تحملتها! لعلمت أنني أحببتك بكل ما منحني الله من قوة.

لو علمت كيف كانت تمر أيام غيابك؟ أنا سأُجيبك، كنت أغذي قلبي على لحظة طَيَبتَ قلبي بها أيام رضاك عني علها تتحمل حتى تعود.

كل يوم في الصباح وأنا أغسل وجهي أرى قلبي وكأنه أمامي في المرآة يعتذر مني، على ما فعلته أنت به!

ولكنه ورغم كل طعناتك وغيابك لم يقسُ عليك يومًا، أشفقت على قلبي! كيف له أن يرى منك كل هذه القسوة ولم يتعلم شيء واحد منها ليقسو عليك!

أنت تعلم جيدًا أنك لو تخطيت الأرض والسماء
لن تجد قلب يحبك مثل هذا، أو ربع هذا يا عزيز،
تعلم جيدًا أنه كان رفيقًا بك كطفل صغير.

لم يرك يومًا سوى وطن، والمُحب دائمًا يرى أن السلم يمتص حرب وطنه؛ لذلك كان مسالمًا معك.

علمت أنت الآن أنك كلما أعلنت حرب على قلبي امتصه السلم لتبقى الوطن الذي لم تقع به حرب يومًا ما.

ست سنوات! وأنا أسقيك من روحي، أعطيك من قلبي ومن طاقتي، ست سنوات وأنت تغيب وتقسو وتهجر، وقلبي يغفر ويحنو ويحب وينتظر.

ست سنوات ما جف يومًا حبي لك، ست سنوات أُشهد الله أنك -ورغم كل ما فعلته- لم تذهب عن خاطري ولو للحظة واحدة.

لم أشفق على حالي ولو لمرة، امتصصت كل مُرٍ، حتى لا يمسك مُرار.

كنت دائمًا تصف كل طيب أقدمه لك على أنه دراما، ولكن أقسم لك ما خرج مني طيب بكمال رضا إلا لك.

ما مللت يومًا من محاولة إفهامك أنك كتفي الثابت.
إذا مِلت أنا أو مالت بي الأمور أو حتى إذا مال بي العالم.

وإلى الآن لم أمَل أبدًا لكني أهلكني التعب وهشم روحي الانتظار يا عزيز.

قلت لي يومًا:"ما أقسى ألم الأسنان، ألمٌ لا يحتمل! إذا كرِهت أحدًا فلتدعي الله أن يصيبه ألم الأسنان.

وأنا أقول لك اليوم:"ما أقسى الانتظار، ألم القسوة لا يُحتمل، إذا كرهت أحدًا فلتدعو عليه أنت أن ينتظر!
وأن يقسو عليه أحدهم".

سَلكتُ كل الطرق التي تمتص الانتظار وتخفي عن بالي قسوتك في الابتعاد، إلا أنها باءت جميعها بالفشل، ما زلت أنتظرك وما زال قلبي يحنو على قلبك رغم قسوته.

أُصبتُ بك وأصابتني لعنة حبك الذي انعقد بقلبي، ويداي ليس لهما القدرة على فك تلك العُقدة، وقلبي عاجز عن مقاومة عقدتك، وطاقتي اندثرت لم يبق منها سوى أطلال تحمل انتظارك.

جانبك الرفيق كان يحملني يأخذني بقوة، يزرع داخلي حبك، كان رؤوف بي إلى حد السماء، ربطني بك بقوة، أخذني من هذا العالم البائس ومنحني الطمأنينة.

وجانبك القاسي كان يأتي دون سابق إنذار، يتسلل كوباء هوائي ليقضي على تلك الطمأنينة، ويمنح قلبي الانكسار، وعيناي الدموع إلى أن تصبح الدماء معقودة بداخلها.

وما تبقى من طاقة داخل قلبي كانت تدافع عن جزئك اللين، وتصد ذلك القاسي اللعين.

إلا أنه حاول أن يأكل روحي، منحته أنت الفرصة في كل مرة
تستمع لقسوتك ويغلبك البِعاد فجأة.
وتتركه ينهش في خلايا روحي، وشرايين قلبي، حتى تهدمت
وما بقي منه يحملك-لكنه ضعيف- إذا ما أتيت، فسلام ورحمة على
ما بقي، وإذا أتيت وأخذتك القسوة إلى فراقي ثانيةً فسيدفن وأنتهي.

كل ليلة عند منتصف الليل كانت تحتضن ركبتي رأسي،
ويأخذني قلبي وعقلي إلى ما خرج منك وربطني بك،
إلى تلك التفاصيل التي حببتني فيك.

قيلت في ذاك الركن من الغرفة كلمة أحيت قلبي، وفي ذاك
الركن الآخر كلمة رفعتني إلى السماء من كثرة سعادتي.

وما بينهما كلمة أخذتني بين السماء والأرض، عالقة ليس
لي القدرة أن أهبط إلى الأرض مع من بقوا، وليس
لي يد في أن أصعد إلى السماء وينتهي بي الأمر.

أنا عالقة، كل مرة أصابني فراقك، عالقة أنتظرك لتعود.
أنا أحبك من كل قلبي، حتى وإن كرهك أهل الأرض
جميعًا، حتى إذا انطفأت أنا، سأختار عتمتك بعيد عن هول العالم.

أتذكُر أنك كنت راحتي التامة من عبث تلك الحياة،
وعُقد ذلك العالم، أتذكُر أنني كنت أهرب إليك،
حتى أنني كنت أهرب منك إليك.

كنت حينما أسمع صوتك يتلاشى كل ذلك الأسى،
وأنسى ما جئت به إليك.

أعترف أنك نقطة ضعفي، وبأنك كل قوتي، وصلابة ظهري،
كنت فقط أريدك بجانبي، أطلب من الله أن يكون قلبي سداد لكل
حاجات قلبك.

كل ليلة أُحدث الله عنك، أقول له أنك أمنيتي الأولى والوحيدة.
أحدثه أنك ربطتني بك، وأنا لا أريد أن أفلت قلبي، أنا أريدك،
يا عزيز.

قلت له إن قلبي معقود بقلبك، وصلابتي جاءت من جانبك اللين، وأنك كل حالي وكل أسبابي.

حدثت الله ألا يصيبك ذلك المرض اللعين الذي أصبتني به.
وهو انتظارك، ألا تنتظر أحد فيؤذي قلبك ويهشم روحك.
أنا أحدث الله عنك حتى في صمتي ووحدتي وزحمتي وآلامي.

رأيت فيك كل أحبالي وآمالي وأحلامي وأماني، أنا أحبك!
بقدر لا يستوعبه عقلك ولا جزء قلبك القاسي، أحبك بطريقة تؤذي قلبي أنا، وتأكل من روحي أنا، ولكني لا أستطيع أن أتعافى.

أقول لك شيئًا؟ أنا وصل بي الحال أن أكلم نفسي عنك.
أن أتخيلك وأتحدث معك، أن أُقبل صورتك وأشكو لها منك.

أنا وصل بي الحال أن أشكوك لنفسك، حتى لا يسوئك أحد.
فأنت عزيزي!

لو جاءتني الفرصة أن أجمع ذلك العالم حقًا حولي،
وأتحدث مع كلٍ بمفرده سأقول إن الحب الزائد لعنة،
وجرعته الزائدة مؤذية ومحطمة.

أقسم لك إني أخاف على قلبك أن يُؤذى مثل قلبي.
ولكن أحب أن يتذوق كل قلب ما أذقته أنت لي من لين،
يتذوق من ذلك الجزء البعيد عن قسوتك.

أمسكوا بأزمة قلوبكم، لا تفلتوها فتصابوا بلعنة الانتظار،
وألم الحب الزائد المفرط وهشاشة الروح، أنا أخشى
عليكم -صدقًا- ذلك الأذى.

تلك الجرعة الزائدة ليست سعادة إنما هي أسى وقهر،
أعطوا بأقل جرعة حتى لا يتسلل إلى أرواحكم؛
فتُصاب ولا تتعافى.

ما ستقبضينه عزيزتي من حب ذلك الرجل هو أنك ستكونين ممزقة وتائهة بين نضوج عقلك وطفولة قلبك. فهو لن يشفق عليك.

أما عن شوقي إليك في ذلك البِعاد المؤلم!
كيف لا يبُعثرني شوقي إليك؟ وأنا أصبحت فارغة وخالية
من كل شيء إلا منك يا عزيز.

في كل زاوية هناك بقايا من بقاياك أنت، فهلا قطعت
كل تلك المسافات وأنهيت كل ذلك الشوق وأتيت.

ما رأيك أن نلتقي صدفة؟ أنا سأرسل لك رسالة ليلًا
بأن نحتسي سويًا فنجانًا من القهوة في ذلك الكافيه الذي التقينا فيه
بعد غياب طويل في التاسعة صباحًا.
وأنت ستأتي وبذلك ستتم صدفة لقيانا من جديد.

أهدني وردة وعانقني لمدة عشرين ثانية واعتذر عن كل ذلك الغياب.

أنا أحبك وسأسامحك على الفور، تعرفني إذا لقيت منك محبة يستند
إليها قلبي يعفو عما حدث.

أنا على استعداد أن أطوي كل تلك الصفحات، وأمهد لك الطريق لتأتي
بصدر رحب.

أما عنك فأنت لست على استعداد أن تأتي، ذلك الجزء اللعين
داخلك يأخذك إلى الوراء، يصنع المسافات بيننا.

تذكُر أول عناق بيننا، حينها كنت أشعر أن صدرك أخذني
للسماء، حيث النجوم، وهجرنا العالم الأرضي البائس
حيث السعادة الأبدية.

حينما أخذتني بين أضلعك وعانقتني بقوه، تسللت رائحتك
إلى قلبي، وغفت عيناي عن كل ما حولي وقتها، كأن ليس لي على وجه
الأرض شيء يعنيني غيرك أنت.

تمنيت وقتها لو يتوقف الزمن والعمر وكل شيء، ولا يفرقني
عن أضلعك شيء.
تمنيت لو لم يمسسنا ذلك اللعين الذي يسمي الفراق،
ولا تلك الإصابة التي تقضي على الروح، وهي انتظارك.

وقتها تلاشى كل حزني، وظهرت في قلبي ورود متفتحة
أنت زارعها، وعناقُك راعيها، أفتقدك وحين أخذني عناقك
ملأت كل فجوات الحرمان منك.

تذكُر حينها قلت لي إنك تحبني، وتتمنى لو لم أرحل من بين أضلعك،
أتذكر ابتسامتك حينما ابتسمت أنا.

أتذكُر تلك الليلة التي أتت بعدها، حينما أخبرتني إنك تريد الصراخ
لتعلم العالم أنك تحبني؟ أخذتنا ساعات عديدة من حلاوة الجنة.

ثم فيما بعد أصابني فراقك كعادتك الملعونة، يا أحمق.
لعن الله فراقك وهدمه؛ حتى يبقى ما يعطيه جزئك اللين
من ود وطمأنينة.

العالم وكل من أعرفهم لا يحبون ذلك اليوم الذي يُدعى الثلاثاء،

أما عني فإنه حسب تسجيلات حوائطي لتواريخ لقياك، كل مرة التقينا فيها كان ذلك اليوم السعيد الثلاثاء.

وكل مرة ذهبت وتركت وراءك بابي معلق وأنا على وقود الانتظار أحترق، كان ذلك اليوم اللعين الثلاثاء.

تأكدت أن يوم الثلاثاء يشبه قلبك تمامًا، بعدما يمنح السعادة في يوم لقائك، كان أيضًا يمنحني قسوة الفراق اللعينة.

تمامًا كما قلبك به جزء لقسوتك وغيابك المفاجئ، وجزء للود والطمأنينة.

شبهت يومك أو اليوم أخذ لعنته وحظه من قلبك أنت.

كنت دائمًا أقول لك إنك الأشياء الجميلة التي تحدث لي، بل كل الأشياء الجميلة أخذت جمالها منك أنت.

كنت أتمنى أن أكون شيئًا واحدًا جميلًا بالنسبة لك، أنا كنت على استعداد أن أسقيك من عروقي لترتوي.

حينما تقرأ ذلك حدثهم عن كل ما كتبته لك وأهملته حتى مات منك، قل لهم أيضًا إنك كنت تضمن غفراني وحبي.
حدثهم عن إهمالك لي حين تفارقني، قل لهم إنه كان مؤلم جدًا، أقسم لك.

لا تنس أن تقول لهم أحبتني بحجم السماء والأرض، وهجرتها.
كن قويًا واعترف إنك مذنب بحق قلبي، بل فراقك كان جُرمًا بحق قلبي.

عليك أن تتذكر جيدًا أنني لم أكن يومًا وهمًا، كانت أمنيتي
الأولى والوحيدة أن تنقطع كل تلك المسافات ونلتقي.

حينما أحببتك لم يكن هدفي أن أنكسر، وتتحطم روحي،
وينتهي قلبي.

كانت رغبتي حينما أحببتك أن أكتشف العالم الجميل
من خلال حبك، لا العالم البائس الذي وصل بي الأمر إليه،

أكتشفه من خلال حب عميق، أعمق مما تتخيل.

قل لهم إنك أكلت قلبي، أكلته بالكامل ولم يعد هناك
أي طريقة لإصلاحه بعد الآن.

فقط أنا لا شيء دونك، وأنت كل شيء بعدي.

أنت تعلم جيدًا أنني وقعت بك، وقعت بك حتى غرقت،
وما زلت أغرق، ولا أستطيع النجاة.

وإنني لا أملك شيء سوى قلبي الذي وقع بك، وروحي التي
سلبها الانتظار كل ما تحمل الراحة من معنى، وتمسكي
بتلك الأمنية ألا تصل بيننا الطرق إلى ما نحن عليه الآن.

أعلم إنك الشخص الوحيد الذي أردته حد البكاء،
ورجوت الله في كل حين أن تكون كل ما لي.

أنا ما أردت بك سوى السلام، كنت أريد أن تعيش في سلام،
أن أعانقك فتحس بسلامي تجاهك، أن تشعر بقدر حبي لك،
تشعر بسلامي الداخلي الذي تمنيته لك دومًا.
أردت أن أخرج بسفينتك إلى بر الأمان يا عزيز!

أردت أن أنسيك كل هزائمك، وأقلل من إحباطك،
أن أخفي ذلك الظلام الداخلي لك، أخفيه تمامًا حتى يتلاشى نهائيًا.

ولكنك كنت كثير التلون، فراقك يخيف ويأتي فجأة،
كنت دومًا تفسد تدبير أموري لك.

يا مجرمًا بحق قلبي، كنت أريدك أن تكون كل انتصاراتي،
كنت أريد أن أنام بين أضلعك، أغفو داخلك بعيد عن ذلك
العالم الخارجي، أنت عالمي، وأنا بك ومنك وإليك.

أبكيتني كثيرًا، وجعلتني أشتاق إليك كطفل يشتاق لحضن أمه
التي تركته لتسافر بعيدًا، تركت داخله يتمزق وكبر على
ذلك الجرح الذي لا يلتئم.

أحدثت لي سنين عجاف أنت يوُسفها، أما حان الوقت
أن ترمي على العميان قميص من رائحتك حتى يرجع النور
من جديد، أما أتيت؟!

أنا أُطالب بالقصاص لقلبي منك،
وقصاصي أن تحتضن قلبي بجزئك اللين، تعوضه ذلك
الفراق الذي أنهكه.

اقتصاصي أن أعانقك بكل ما داخلي من شوق إليك،
أعانقك كعناق جاء بعد ألف عام من الفراق، أن أنتزع تلك
القسوة اللعينة من داخلك، أن ألقي داخلك ألا فراق بيننا
بعد الآن.

أن أنبه قلبك أنه رغم كل ذلك الأسى والفراق إلا أن قلبي ما زال
يحملك داخله كطفلي ورجُلي وصلابة ظهري.
وإن قسوته وفراقه انحناء ظهري وانكساري وسُكناي الحزن.

أنا أحبك كأنك دعوت أن تعلق بقلبي وبأنفاسي وبداخلي
وتسكُنني قسوتك ولا أتعافى منك.
وكأن العالم بأجمعه قالوا آمين.

فليشهد الله إنك متربع بقلبي، مقيد بوتيني،
وإنني متعلقة بك تمامًا كمذهبي، كعزلتي، كديانتي السماوية.

لذلك فأنت الشخص الوحيد الذي يلزم عليه أن يكون
موجودًا، لا يصلح ألا تكون موجودًا، ألا تعرف مكانًا للترك،
أن تبقى بجانبي، ألا تعرف للغياب طريق.

أنا أراك كما لم يسبق أن رآك أحد، أرى أحيانًا أن هذا العالم
لا يليق بقلبك الذي أحبه، أرى أن الله وضع بك
سرًا من أسراره فإذا ما قدر لقلبي سعادة أوجدك أنت بطريقي.

أرى أن يكون لجزئك اللين من القلب اسم من أسماء الورود،
تلك التي إذا فاح عطرها تبسم كل من حولها وذكروا الله.

أرى أن أُسمي جزئك اللين لافندر قلبي.

لم أردك مثاليًا، ولكني أردتك صادقًا في وعدك
الذي تلقيه لي كل مرةٍ تعود بأنك لن تذهب ثانية
وتتركني، كنت أريدك فقط وفيًا بذلك الوعد.

أقسم لك بالذي وضعك في قلبي أنك أخذتني مني، ومن الدنيا
ومن العالم بأكمله، علقت بك حتى بُتر جناحي كعصفور
غدرت به الرياح وأوقعته أرضًا بعدما تمكن من التحليق.

عندما أحببتك وجدت فيك انتصاراتي من كل هزائم العالم،
تمنيت أن تبقى ملجأي وسُكناي، تمنيت أن أظل مختبئة
داخلك من كل عواصفي.

بلغت فيك من الحب ما أساء إلى قلبي، صنعت لأجلك
كل شيء؛ حتى أرى السعادة تغمرك ولو دقيقة.

صنعت من أنفاسك كوخًا لي، سكنت أنا داخله عشقته
وكأن العالم انقطعت أنفاسه إلا منك.

كنت أحس فيه قربك من قلبي، كأن أنفاسك تلتف
مُعانقة وتيني.

أسطورةٌ أنت بالنسبة لي، ورغم أنك شخص
خلق الله منك الكثير؛ لكنني فعلت منك شيء لا مثيل له.

تتذكر حينما أخبرتك أنني ممنونة إلى أمك
إلى أن يُفني الله الأرض ومن عليها؟

أخبرتك إنك مُنقذي من زحام الدنيا وإنني عالقة بك
كأبي، تمنيت لو أعطيتني جميل صنعك بألا تفرق
بين روحي وروحك.

في ذلك اليوم أخبرتني إنك أنت الممنون لوجودي، أخبرتني
ألا آخذ قسوتك على محمل الجد، حينها ابتسامتي
اخترقت منتصف قلبي وخرجت كأنني لم أبتسم
طيلة حياتي.

حينما يأخذني الجد ويلهم عقلي القوة أن أتخذ قرار
نسيانك وكأنك لم تكن

عقلي يأخذ هذه القوة ويصفع قلبي فجأة بأنك الذي
أهلكته، يرد قلبي بلطمةٍ قويةٍ لعقلي بأنه يحبك
حتى لو أن كل الخيبات كانت منك.

ماذا تريد بعد ذلك؟

صفعات ولطمات متتالية كل يوم وليلة، تنادي بنسيانك
وثورة عقلي الناضج على قلبي المتعلق بك لا تهدأ
ولا تستكين من محاولة إفهام قلبي أنك من أهلكته.

قلبي كالأحمق يغلق كل مسامعه وتقوم قيامته
ألا ثورة تقوم عليك ولا هتاف لنسيانك.

ما نال قلبي منك إلا كل خيبات، ومع ذلك أنت
كل الذين أحبهم.

في الحقيقة انتصارك على ثورتي تجاهك كل ليلة نتيجتها
تُحسم قبل البدء.

أنت تعرف كل نقاطي، أنت نقطتي الضعيفة، وتعرف كل
طرق قوتي، فأنت أيضًا قوتي، تعرف ما أخبأه قلبي،
فأنت كل ما أخبأه بين ثناياه المنهكة.

وختامها إن ثورتي تهدأ عند تلك الثنايا، وسفينتي التي
لم أرها مبحرة منذ أن عرفتك تزداد غرقًا عندما تأتي أنت.

الله وحده يعلم إن أمنيتي تجاهك كانت أن تنجو سفينتنا سويًا،
تكون أنت القبطان الذي انتشلها من عمق الغرق.

جاهدت بكل قوتي وما زلت أجاهد لأجلك، لأجل بقاء
ما زرعته في، ما زلت أحملك كاملًا بلينك وقسوتك اللعينة.

نحن الذين على ديانة الإسلام، لنا عيدان نحتفل بهما
بعد شهور تتطول.

وأنا عيدي الثالث يأتي عند مجيئك، أنا في الحقيقة
لا أعرف الوقت الذي تهفو إليّ فيه
ولكنني دائمًا أستقبلك أينما جئت ووقتما جئت
لا أرد بابي.

ولأنني لا أرد بابي تأتي فجأة وتغيب في لمحة دون أن أنتبه.

عادتك في الغياب قاتلة أقسم لك، إن كل غيابك
يقتل جزء مني.

أما عن لهفة قلبي لمجيئك لا أستطيع أن أحدثك عنها،
لكنك تعرفني جيدًا، تعرف أنني مصابة بك.

أتلعثم في الكلام وتسقط مني قوتي، وينهزم أمامك كل الثبات
الذي أبديه.

أنت تأتي لترى لهفتي إليك، ثم تغيب وتأخذ لهفتي وقلبي وقوتي
وكل ما بداخلي معك.
إليك كل ما انهمر من قلبي أو جف، إليك ما سكبته داخلي
من وجع ليتساقط داخل قلبي كوريقات الخريف
التي غدر بها فصلها وأسقطها أرضًا بعدما كانت في ربيعها.

وأدمعي التي أغرقت وسادتي فأشفقت عليها واحتضنتها.

أما عن بابك المعلق جاء عليه الشتاء، ولحقت به قسوة
البرد، وامتزجت بقسوتك في زواياه، وما بقي لدي
القوة لإغلاقه أو حتى لمواربته.

كثرت تجاعيد روحي كعجوز قضت من العمر مائة عام
أو أكثر، زادت العجوز جمالًا ببشرتها القمحية،
وجعلتها كأثر عتيق قليل الوجود.
وجعلت روحي تحترق كوقود أشعلته قسوتك.

كقطعة زجاج أسفل قدم طفل يصرخ ويئن من الألم
أعطاه الطبيب عدد من الغرز ليلملم ما قطعه الزجاج

ولم يصف له المسكنات لتهدئ روحه عن الصراخ.

داخلي يصرخ كذلك الطفل الذي كان الألم أكبر منه،
وخارجي يظهر كأنه صلب كذلك العجوز الذي يخفي
ألم مفاصله لكرهه الدواء.

عقارب الساعة عند الثانية بعد منتصف الليل، تصدر أصواتها
المقلقة المخيفة، تنبه قلبي أن الثانية جاءت ولم يغف إلى الآن.
والستائر رغم ثقلها يصفعها هواء الليل، لتخبر روحي
أن لا بد من دفء فتهدأ ويأخذها النعاس.

لكن لم تنتبه إليها تلك الروح المنهكة، وإذا انتبهت حدثتها
نفسها بأن قسوة ذلك الهواء اللعين لا تساوي جزء
كحبة العدس من قسوتك، فلا تدفأ ولا تهدأ، ولا يستكين
داخلها النعاس.

يأتي الصباح كل يوم بفنجان من القهوة لم يذق من السكر
شيئًا؛ لينبهني أن غيابك أشد مرارًا منه.

اتخذت الهالات أسفل عيني منام لا تتركه لتخبر الجميع
عما أخفيه، وأبتسم أنا بأنها من إهمالي لنوم الليل،
والحقيقة أنها من انتظارك الذي لا ينتهي.

نور النهار لا يأتي إلا بعدما تأخذ كل دقيقة في ظلام الليل
حقها لفترات بعيدة داخلي.
فيشتعل اشتياقي لك كما لو أنني لم أشتق لأحد منذ خلقي إلا لك.

السحب غائمة والسماء لا تمطر، وكوب من الشاي لا يبرد
وقلبي لا يهدأ، وأكل رأسي التفكير بك.

والدموع صفعت عينيّ وعقدت الدماء بهما وأنت لا تأتي.

تمامًا كما لو أن قلبك أقسم على قلبي أن يذيقه من ألم الفراق
ألوانًا قاتمة لا يُرى النور من خلالها.

وما زالت سجادتي وسجداتي وسحر الليل يحملونك في دعاء
إلى الله، تأخذني نفسي إليه.
اسمع قلبي بشكواه إلى الله إنك كل حاله.
قلبي يناجي الله عنك أن يكون سداد لك، يطلبك بلهفة المشتاق.

فبعض من الوقت يأتي على عقلي أن تشتمل سجداتي
بالدعاء عليك أن يقتص الله لقلبي منك؛ يسمعه قلبي
على الفور يستغفر الله لما حمله عقلي.
أخاف أن تُؤذى لمجرد تفكير لا نطق.

رغم إنك أذيت قلبي ولم تخاف عليه الأذى، أعطيتك
كل ذلك الحب ومنحته لقلبك دون أي خدوش وبدون أي مقابل.

لم أطالب بشيء منك سوى أن تكون صادقًا، ألا تذهب،
تظل بالقرب من قلبي أبدًا وليس وقتًا ويحل عليه
رحيل أشهر تتطول.

لم أطالب بشيء لقلبي، إذا فعلته تضيق بك الأرض بما رحبت،
أنا رضيت بالقليل من وجودك وعليه منحتك كل هذا.

أنا التي أحبت كآبتك وحزنك وابتسامتك وحتى قسوتك،
أنا المحبة وأنت الغياب اللعين.
ذلك الغياب تعرفه أنت، ذلك الذي طال زمانه ولم يرحل
لتأتي أكل الأخضر واليابس من قلبي.

حتى صوت عصافير الصباح كنت أحبها حينما تكون أنت
هنا، وبعدها أصبحت أصوات مهشمة بالنسبة لي.

مات بداخلي الاكتراث لألوان لوحتي، كرهت انتظارها حتى تجف،
وخرب جمالها وتداخل كل لون بآخر،
حتى أصبحت باهتة وغائمة كروحي.

مللت من كل شيء يحمل الانتظار، انتظارك اللعين وضع
لي السم في كل أشيائي التي تحتاج إلى تمهل.

لم أصبر على انتظار الأشياء وصبرت على انتظار من عكر لي
صفو كل الأشياء بغيابه.

في طفولتي كنت لا أهتم كثيرًا للعبتي كبقية إخوتي، لا أتعلق
بها.
إذا وجدتها أخذتها وإذا اختفت كان لا يعنيني أمرها، لا صراخ، ولا
اهتمام.

وقتها كانت أمي تتحدث عني أنني لا أتعلق بشيء ولا أهتم لشيء
إذا حضر أو غاب، كانت تنظر إلى قلبي أنه ليس بضعيف
ولا بلين.

لا يهتم بلعبته ولا يخاف النوم وحده ولا ينهمر وراء ما ينهمر إليه الأطفال ولا تأخذه لذة الحلوى التي يستلذها الجميع.

عندما كبرت وبكيت لأمرك وسمعتني أحدث الله عنك،
وما أخذتني لهفة إلا لك، إذا ما ذُكر منك حتى القليل.

قالت إن قلبي عاش طفولته ولين براءته في الكبر
عندما تعلق بك وأخذك على محمل الأمومة وتحمل لعنة انتظارك، ولن يقسو عليك يومًا، وأمهلك تعود وقتما شئت.

حدثتني إنني أحمل الأسى وكبرت سبعين عامًا وأنا في العشرين من عمري.
قالت لي التجاعيد لا تظهر على وجهك، ولكنني رأيتها تكتنف جدران روحك يا ابنتي.

أمي تقول لي إن هجران يومين وانتظار اللقاء لثالث يوم مفجع للقلب.

فماذا عن ست سنوات يتكرر فيهم الهجران ويطول فيهن الانتظار.

ماذا لو أحببتني؟!

لو أحببتني بعدما انتَزعتك من قلبي لأتحمل غيابك،
لعلمت كم كان قلبي به أمومة كما لو أنك ولد ذلك القلب الحزين.

كنت سأستقبل غياب يوم طويل لك بلهفة المائة عام.

كنت سأعانقك كل يوم كما لو لم أعانقك من قبل، كان قلبي
سيحتضن حكاياتك بصدر رحب وطيف كعبير الفجر.

كنت سأتحمل كامل مسؤوليتك كما لو أنك طفلي، وتلك
العصبية التي تسكن منك جزء أعرفه أنا كاسمي.

أعرف أنك وقتها تفضل أن تكون بمفردك؛ لكنني أعلم
أنك تهدأ على الفور.
قلبك طيب الطباع، لكنه ممتزج بداء الغياب، رأسك كانت
ستستقر بين أضلعي حتى تهدأ.

أردت أن أمنح قلبك السلام، أردت أن أنجو بك في عالم
يخصنا دون رفيق، تكون أنت به كل الأهل والرفاق.

أردت أن أحدثك كصديق لي عما فعلته بي إحدى صديقاتي،
وأبكي لك ثم تحتضني كطفلة
خائفة من الظلام؛ فينتابني الهدوء وتعلو ضحكتنا كما لو لم
يحدث شيء.

نتقاسم كل شيء ونشرب فنجان من القهوة سويًا في الصباح،
ونواجه سويًا حماقة هذا العالم طوال اليوم، ليأتي
المساء ونجتمع عند المدفأة، وأخبرك إنك لذة ذلك العالم
البائس، وتخبرني إنك تحبني، كما إنك لم تحب شيء
في هذا العالم من قبل.

أستند برأسي على كتفك ليسقط ما بها من زحام، ويصيبني
إحساس ألا أمان لي إلا هذا الكتف.

ترمي بحملك على قلبي وتستقر بعناقي، أأخذك بين تلك الضلوع
كطفلي الذي جاء بين يدي يشكو من مديره السخيف،
وأصدقائه الذين يصيبوه بألسنتهم بعض الوقت؛ حتى تهدأ ويستكين
أمرك عند قلبي ويأخذك النعاس.

أحضر لك طاولة من الطعام، وأضع من ضمنها تلك البيتزا
التي تحتوي على التونة المحببة لقلبك، بعدما أرهقني يومي
ولكنها ستأخذ لذتها بما في قلبي من حب لك.

وبما أستعد به لأمنحك السعادة بعد يوم شاق بالنسبة لك،
فأخبرك إن الطعام أقرب طريق لقلب الرجل، ففعلته لأجلك
فتبتسم أنني كل الطرق السعيدة لقلبك.

أصنع لك جوًا دافئًا وهادئًا لا يعكره زحام الدنيا ولا بؤس الأيام،
ليكون عالمنا الخاص، لا حزن ولا أسى، ولا بكاء ولا أعصاب
محطمة به،
فتمنحني السعادة حين أراها في عينيك.

أغير اللون المعتاد لشعري ولا تنتبه فأصنع به شاربًا
لتضحك وتنتبه للاثنين معًا،
إنني غيرت لون شعري وإنني صنعت شاربًا لتنتبه.

أفاجئك في اجتماعك الذي تكرهه وسط سخافة مدير
وصراع زملاء برسالة، إنني أحب تلك الضحكة التي تعلو تدريجيًا
ولا أرى عينيك من شدتها.
فتضحك وتخرج مطرودًا من الاجتماع، وينتهي الأمر الذي تكرهه.

أردت أن أملأ حياتك بالحب والسعادة، أردت أن أنسيك
ما يسمى تعاسة، أردت أن أصلي لله وأنت الإمام وأشكره
على نعمة وجودك وأدعوه أن يعطني القدرة لإسعادك.

ستسمع همسي مع الله وتخبر الله إنك تحبني وإنني مأمنك،
وفي الحقيقة إنك أنت مأمني.

نذكر الله سويًا وتُسمعني القرآن بصوتك الذي أحبه أنا،
فأغفو على صدرك من شدة الهدوء.

ندعو الله سويًا أن يرزقنا بنت، وأطلب من الله سرًا أن تشبهك،
وأن يضع بها حنانًا من لدنه لنا.

أردت أن أطببك من ألم الأسنان الذي يصيبك دائمًا، حتى
إذا اشتد عليك ليلًا أصابني البكاء لأجلك،
فتضحك لما يحمله قلبي لك وأنسيك ما أصابك.

أضع سجادتي وأصلي لله وأدعو الله على ألم الأسنان
أن ينتهي من الوجود لأجلك،
لأجل ألا يصيبك ألم ولا أذى.

أردت أن أحبك أكثر من هذا، ألا تشبه علاقتنا أحد،
أن تتسم بالهدوء، ألا تعرف القسوة ولا الغياب ولا الفراق،
ألا يدق بابنا سوى الاطمئنان، أن يُقتل خوفي من غيابك
وينتابني الأمان أنك لن ترحل وتترك قلبي.

ومن الحب ما قتل!

المقولة التي تصدع قلبي كلما مرت عليه،
الحب الذي يقتل صاحبه حتى وإن لم يدفن ولكن روحه تهشمت
ودفنت، صادقة تلك المقولة، صادقة كل الصدق.

ذلك الحب الذي لا مقابل له يتحطم ويُدهس، ذلك الحب
الزائد يدمر القلب ويهدم الروح والجسد على قيد الحياة.

جسد بلا روح، هيكل متحرك في دائرة الحياة، زاهد
في كل شيء، غريب عن الدنيا، يعيش في وادٍ غير واديه،

لا تعينه كل أدوية النوم ليغفو عدة ساعات
ليستريح فيها من مشقات قلبه المنهك.

أدوية الاكتئاب التي توصف لشخص حطمه الحب
كلها كاذبة، تفقده وعيه لساعات لكنها لا تستطيع أن تفقده غصة
قلبه.

ولا تحبس عنه تلك الدموع التي تسقط دون
سابق إنذار، تسقط بكاءً
على النفس.

حتى المواساة من شخص قريب لا تأتي بأية جدوى،
كلمات خرجت من قلب ليس كقلبك المحطم، كلمات أضعف
بكثير من تلك الغصة اللعينة، وذلك الألم لا متناهي.

وكلمة النسيان سهلة يحملها اللسان، لكنها بعيدة كل البعد عن القلب،
إذا كان النسيان سهلًا ما انتظر أحد، ولا بكى أحد على أحد،
ولا حطمتنا أمنياتنا البعيدة التي طالما حلمنا بها،

ولا انكسر في الحياة قلب ولا تهشمت روح،
كل ذلك لا يصلح ما أفسده أحدهم في قلب شخص أحبه
بصدق، كل ذلك مر به القلب الذي أحبك يا عزيز، وأنت هدمته.

حدث بذلك القلب الذي تعلق بك، وأنت صفعته بكامل قوتك.

كان لي رغبة أن تكون الوعود من تلك التي صدقت،
لا من التي قتلت من اتخذها بصدق.

كل فلسفة الأرض لا تُعزي فاقد عما فقد ولا قلبًا عما عاشه
من ألم، وما رآه العالم منا ينقصه الكثير، ينقصه
وجعًا لا يُحكى وأشياء حطمها الحب في صدورنا
لا نستطيع البوح بها.

الفراق مر، وكل ما يأتي من قبيلته مر، مذاقه لا يحتمل،
وظلم قلب يلحق به الخيبة، الخيبة في كل شيء،
يجعله يهبط دون درج من السماء إلى الأرض
على زجاج قلبه المحطم فتنخدش روحه خدش لا يرام،
ولا تسعفه ضمادات كل من اتخذوا الطب مهنة.

أدرك تمامًا إنك لن تجد قلبي في شخص آخر،
ولن يتحمل قلب ما فعلته بقلبي إذا مررت أنت على قلوب العالم.
اجعل اليقين يأخذك إلى ما وضعته داخلي، إلى ذلك الألم الذي لا ينتهي.
تلك الذاكرة التي فقدت كل شيء وأصيبت بك وحدك.

ترفض أن تفقدك رغم أنها فُقدت من تجاهك.

كل ذلك الحطام سأصعد به درجي الثالث والعشرين،
تمنيت لو صعدنا سويًا.

كل الطرق دونك مظلمة ليس لها نهاية، أحجارها ثقيلة
وجوهها تنتابها الكآبة، وجوفها عميق لا نهاية له.

بها بئر كبئر يوسف، ولكنه جاف لا ماء فيه،
ولا حبال لدلو، وقافلة العزيز لا تَسلُك ذلك الطريق.
أدمنت كل تفاصيلك وانتهى بي الأمر.

قلبي وروحي أكثر وصلا إلى قمة احتياجهما أن تكون معهما،
وهما أيضًا اللذان لم تمنحهما أنت وجودك بجانبهما.

الست قالت في طربها:
"وعرفت أبعد
وقدرت أعند
حتى الهجر قدرت عليه
شوفت القسوة بتعمل ايه!"

لكن أنا برغم كل تلك القسوة، لم أستطع البعد، ولا أخذني العناد،
ولا ألهمتني قوتي أن أهجرك،
وقسوتك لم تفعل بي شيء سوى أنها أنهت قلبي، والسلام.

وختامًا

إليك بلغة أقرب من قلبك
ومن داخلي إلى قسوتك اللعينة.

"أنا بس قلبي كان عايز منك حبة ونس، يتشعبط فيهم زي الأطفال الصغيرين.

بصيص نور يحسسني بالأمان، وشوية لين ينهوا قسوة العالم وزحام التفكير".



تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub